أغاثا كريستي

عيّنة من الرواية

(للتصفح والاطّلاع)

لقَاءٌ في بَغْداد

بسم الله الرحمن الرحيم

أغاثا كريستي

لقاءٌ في بَغْداد

طُبعت للمرّة الأولى باللغة الإنكليزية عام ١٩٥١

ترجمة: نبيل عبد القادر البرادعي

تحرير: رمزي رامز حسّون

الأجيال للترجمة والنشر
AJYAL Publishers

هذه الترجمة تضم النصّ الكامل لرواية أغاثا كريستي
المنشورة أول مرة عام ١٩٥١ بعنوان

They Came to Baghdad

Copyright Agatha Christie Mallowan 1951

حقوق الطبع محفوظة للناشر:
الأجيال للترجمة والنشر والتوزيع

يُمنَع نقل أو تخزين أو إعادة إنتاج أي جزء من هذا الكتاب
بأي شكل أو بأية وسيلة: تصويرية أو تسجيلية أو إلكترونية
أو غير ذلك إلا بإذن خطي مسبَق من الناشر

Arabic edition published by AJYAL *Publishers*
e-mail: books@al-ajyal.com

الطبعة الرابعة
٢٠٢٠

الفصل الأول

-١-

خرج الكابتن كروسبي من المصرف بفرح امرئ صرف شيكاً واكتشف أن لديه في حسابه مبلغاً أكبر قليلاً مما كان يظن.

وغالباً ما يبدو الكابتن كروسبي مسروراً بنفسه، فقد كان من ذلك النوع من الرجال. أما بالنسبة لجسمه فقد كان قصيراً قوي البنية، ذا وجه أحمر قليلاً وشارب عسكري منتصب الشعيرات. كان يختال قليلاً في سيره عندما يمشي، وربما كان في ملابسه شيء قليل جداً من الزينة والألوان النافرة، وكان مغرماً بالقصص الممتعة ويحظى بشعبية بين الرجال الآخرين. رجل مرح، عادي ولكنه لطيف، وغير متزوج. ليس فيه ما يبهر أو يثير الانتباه. في الشرق أكوام من أمثاله.

كان الشارع الذي خرج إليه الكابتن كروسبي يسمى «شارع البنوك» لسبب وجيه جداً، هو أن معظم مصارف المدينة توجد فيه. كان الجو داخل المصرف بارداً مظلماً فيه شيء من رائحة الهواء الراكد، والصوت المسيطر فيه هو صوت العدد الهائل من الطابعات التي تطقطق في خلفية المشهد.

أما في شارع البنوك في الخارج فقد كان الجو مشمساً تملؤه زوابع الغبار ويطغى فيه الضجيج الرهيب المتنوع، فقد كان هناك الزعيق المستمر لأبواق السيارات، وصيحات الباعة من كل جنس ولون. وثمة مشاجرات صغيرة بين مجموعات قليلة ممن يُخيَّل للمرء أنهم مستعدون لقتل بعضهم بعضاً، ولكن سرعان ما تراهم أصدقاء في الواقع. رجال وفتيان وأطفال كانوا يبيعون كل شيء، من شتلات الأشجار إلى الحلويات والبرتقال والموز ومناشف الحمّام والأمشاط والشفرات، وغير هذا من البضائع التي تُحمل بسرعة في الشوارع على الصواني. وفوق كل ذلك كان يُسمَع صوت العويل الرفيع الكئيب لرجال يقودون الحمير والخيول بين السيارات.

كانت الساعة الحادية عشرة صباحاً في مدينة بغداد.

أوقف الكابتن كروسبي صبياً يركض بسرعة حاملاً ملء يده من الصحف واشترى واحدة منها، ثم انعطف عند زاوية شارع البنوك وخرج إلى شارع الرشيد، وهو الشارع الرئيسي في بغداد ويمتد نحواً من أربعة أميال متوازياً مع نهر دجلة.

ألقى الكابتن كروسبي نظرة سريعة على عناوين الصحيفة، ثم دسها تحت إبطه ومشى نحواً من مئتي متر، ثم انعطف ليدخل زقاقاً صغيراً قاده إلى خان ضخم، وعند النهاية البعيدة للخان فتح باباً عليه لوحة نحاسية ليجد نفسه في مكتب هناك.

ترك موظف عراقي شاب حسن الهيئة آلته الطابعة وتقدم منه بابتسامة ترحيب قائلاً: صباح الخير يا كابتن كروسبي. بماذا يمكنني أن أخدمك؟

- هل السيد داكين هنا؟ حسناً، سأصعد إليه.

عبَرَ أحد الأبواب، ثم صعد درجاً ذا انحدار حاد جداً، ثم قطع ممراً، وعند نهايته قرع باباً فجاءه صوت يقول: ادخل.

كانت الغرفة عالية السقف شبه فارغة، وكانت فيها مدفأة نفطية عليها إناء ماء، بالإضافة إلى مقعد طويل أمامه طاولة قهوة صغيرة ومكتب ضخم بالٍ إلى حدٍّ ما. كان المصباح الكهربائي مضاء، وقد تم استبعاد ضوء النهار بحرص. وخلف المكتب البالي جلس رجل ذو وجه متعب ينقصه الحزم... وجه امرئٍ لم يفلح في هذه الحياة وهو يعرف ذلك ولم يعد يهتم له.

تبادل الرجلان النظرات: كروسبي المرح الواثق بنفسه، وداكين الكئيب المرهق، وأخيراً قال داكين: مرحباً يا كروسبي. هل عدت لتوك من كركوك؟

أومأ كروسبي برأسه بالإيجاب ثم أغلق الباب خلفه بحذر. وبدا الباب بالياً أيضاً ولم يُحسَن طلاؤه، ولكنّ فيه صفة واحدة غير متوقعة، وهي أنه محكم الإغلاق دون فتحات أو شقوق أو فراغ في أسفله... كان -في الحقيقة- باباً كاتماً للصوت.

ومع إغلاق الباب تغيرت قليلاً شخصية كل من الرجلين، فقد أصبح الكابتن كروسبي أقل جرأة وثقة، فيما ارتخى كتفا داكين أكثر من ذي قبل وأصبح سلوكه أقل ترددا. ولو قُدِّر لأحد أن يكون في الغرفة مستمعاً لحديثهما لدُهش وهو يكتشف أن داكين هو الذي كان في موقع السلطة.

سأل كروسبي: هل وصلت أي أخبار يا سيدي؟

تنهّد داكين وقال: نعم.

كانت أمامه ورقة بدا منشغلاً في فك رموزها، وقد نقط حرفين آخرين فيها ثم قال: سوف يُعقَد في بغداد.

ثم أشعل الورقة بعود ثقاب وراقبها وهي تحترق، وعندما صارت رماداً نفخ برفقٍ فطار الرماد وتبعثر، ثم قال: نعم، لقد استقر رأيهم على بغداد، في العشرين من الشهر القادم. وعلينا أن نحافظ على السرية الكاملة.

قال كروسبي بهدوء: لقد كانوا يتحدثون عن الأمر في السوق... منذ ثلاثة أيام.

ابتسم الرجل الطويل ابتسامته السَئِمة وقال: «سري للغاية»! لا يوجد شيء سري للغاية في الشرق، أليس كذلك يا كروسبي؟

- بلى يا سيدي. ولو أردتَ رأيي لقلتُ إنها لا توجد أسرار في أي مكان. كثيراً ما لاحظتُ خلال الحرب أن حلاقاً في لندن يعرف أكثر من القائد العام.

- ولكن الأمر لا يهم كثيراً في هذه الحالة، فلو رتبوا الاجتماع ليكون في بغداد فسرعان ما سيصبح الأمر معروفاً بالضرورة، وعندها تبدأ المتعة... أعني متعتنا الخاصة.

سأل كروسبي بارتياب: أتظن أن هذا الاجتماع يمكن أن يُعقَد أصلاً يا سيدي؟ هل ينوي العم جو القدوم حقاً؟

بهذا القدر من قلة الاحترام كان كروسبي يشير إلى رئيس قوة أوروبية عظمى! وردّ داكين وهو يتأمل: أظنه ينوي الحضور هذه المرة يا كروسبي. نعم، أظن ذلك. وإذا ما نجح الاجتماع... أعني إن نجح دون عوائق... فعندها يمكن إنقاذ كل شيء. لو أمكن فقط الوصول إلى تفاهم ما...

ثم سكت، ولكن كان كروسبي ما يزال متشككاً قليلاً، فقد قال: وهل... اعذرني يا سيدي، هل الوصول إلى تفاهم من أي نوع أمر **ممكن**؟

- بالمعنى الذي تقصده أنت يا كروسبي: قد لا يكون ممكناً. إن كان الأمر مجرد جمع رجلين يمثلان مذهبين فكريين مختلفين جداً فربما انتهى الأمر كما ينتهي عادة... بزيادة في الشكوك وسوء الفهم. ولكن لدينا الآن العنصر الثالث، فلو كانت قصة كارمايكل الخيالية تلك صحيحة...

ثم سكت فقال زميله: ولكن من المؤكد أنها لا يمكن أن تكون صحيحة يا سيدي، فهي **شديدة الخيالية!**

بقي الآخر صامتاً بضع دقائق. كان يتخيل -بكل وضوح- وجهاً جدياً قلقاً ويسمع صوتاً هادئاً يصعب تصنيفه وهو يردد أشياء خيالية لا تُصدَّق. كان يقول لنفسه كما قال وقتها: إما أن هذا الأمر صحيح أو أن أفضل رجالي وأكثرهم مصداقية قد فقد عقله!

قال بنفس صوته الحادّ الكئيب: إن كارمايكل يؤمن بأن الأمر صحيح. كل ما استطاع العثور عليه أكد فرضيته، وقد أراد الذهاب إلى هناك ليكشف المزيد... ليحصل على دليل. لا أدري إن كنتُ قد

تصرفت بحكمة عندما تركته يذهب. فإذا لم يعد فلن يوجد ما يمكن الاستناد عليه إلّا روايتي أنا عما قاله لي كارمايكل، وهي نفسها قصة **قالها له أحدهم**. هل يكفي هذا؟ لا أظن. إنها -كما قلت- قصة خيالية جداً، ولكن إن جاء الرجل نفسه إلى هنا، إلى بغداد، في العشرين من الشهر القادم... ليحكي قصته الخاصة، قصة شاهد عيان، ولكي يقدم دليلاً...

قال كروسبي بحدّة: دليلاً؟!

أومأ الآخر برأسه وقال: نعم، لديه دليل.

- كيف عرفت؟

- الصيغة المتفَق عليها... جاءت الرسالة من صلاح حسن.

ثم اقتطف من الرسالة هذه الكلمات بلهجة حذرة: «**جَمَلٌ أبيض محمَّلٌ بالشوفان سيأتي عبر الممر الجبلي**». وسكت قليلاً ثم مضى قائلاً: وهكذا فقد حصل كارمايكل على ما ذهب من أجله، ولكنه لم يَنجُ دون أن تحيط به الشكوك. إنهم يسعون في أعقابه، وأي طريق يسلكه سيكون مراقَباً، والأخطر من ذلك بكثير أنهم سيكونون بانتظاره هنا. في البداية على الحدود، ولو نجح في عبور الحدود فسوف يُضرَب طوق حول السفارات والقنصليات. انظر إلى هذه.

بحث بين أوراقه، ثم أخرج ورقة وقرأ بصوت عالٍ: "إنكليزي مسافر بسيارته من إيران إلى العراق أُطلقتْ عليه النار فقُتل، ويُفترض أن ذلك من عمل قطاع الطرق... تاجر كردي نزل من الجبال مسافراً جنوباً نُصِب له كمين وقُتل... كردي آخر اسمه عبد الحسن يُشتبَه بأنه

مهرب دخان قتلته الشرطة... العثور في طريق راوندوز على جثة رجل تبين فيما بعد أنه سائق شاحنة أرمني". لاحِظْ أنهم جميعاً متقاربون في الصفات العامة: الطول والوزن والشعر والبنية... كلها قريبة من صفات كارمايكل. إنهم لا يريدون أي مجازفات. لقد خرجوا للقضاء عليه، وبمجرد أن يصبح في العراق سيكون الخطر عليه أشد أيضاً. بستاني في السفارة...خادم في القنصلية... موظف في المطار... في الجمارك... في محطات القطار. كل الفنادق مراقَبة، إنه طوق أمني مضروب بكل إحكام.

رفع كروسبي حاجبَيه وقال: أتظن أن أمرهم اتسع لهذه الدرجة يا سيدي؟

- ليس عندي أي شك في ذلك. حتى في معسكرنا توجد محطات تُسرّب المعلومات، وهذا أسوأ ما في الأمر. كيف لي أن أتأكد من أن الإجراءات التي نتبعها من أجل إيصال كارمايكل سالماً إلى بغداد ليست معروفة أصلاً من قِبَل الجانب الآخر؟ إن إحدى القواعد الأساسية لهذه اللعبة -كما تعلم- هي أن تشتري كلُّ جهة شخصاً محسوباً على الجهة الأخرى وتدفع له المال.

- هل يوجد أحد... تشتبه فيه؟

هز داكين رأسه ببطء نافياً، فتنهد كروسبي وقال: وهل نواصل عملنا في هذه الأثناء؟

- نعم.

- ماذا عن كروفتن لي؟

- لقد وافقوا على حضوره إلى بغداد.

- الجميع قادمون إلى بغداد. حتى العم جو قادم كما تقول يا سيدي، ولكن لو حصل أي شيء للرئيس أثناء وجوده هنا فستشتعل حرائق الانتقام.

- ينبغي أن لا يحدث شيء. هذا هو دورنا... أن نمنع حدوث أي شيء.

عندما انصرف كروسبي انحنى داكين فوق مكتبه وتمتم قائلاً بهمس: **لقد جاؤوا إلى بغداد**...

وعلى رزمة ورق المسوَّدات أمامه رسم دائرة وكتب تحتها: «**بغداد**»، ثم أخذ ينقِّط تحتها ليرسم جَمَلاً وطائرة وباخرة وقطاراً صغيراً ينفخ دخانه... وكل ذلك يتجه نحو الدائرة. ثم رسم في زاوية الورقة شبكة عنكبوت، وفي وسط شبكة العنكبوت كتب اسماً وحيداً: «**آنا شيل**»، وتحته وضع علامة استفهام كبيرة.

بعد ذلك تناول قبعته وغادر المكتب. وفيما هو يمشي في شارع الرشيد سأل رجلٌ صاحبَه: مَن هذا الرجل؟

- ذاك؟ آه، إنه داكين. إنه يعمل في إحدى شركات النفط، وهو رجل لطيف ولكنه لم ينجح أبداً، فهو خامل جداً، ويقولون إنه يشرب الخمر. لن ينجح أبداً. لا بد أن تكون متحمساً طموحاً حتى تنجح في هذه المنطقة من العالم.

-٢-

- هل حصلتِ على التقارير الخاصة بعقارات كروغنهورف يا آنسة شيل؟

- نعم يا سيد مورغانثال.

وضعت الآنسة شيل الهادئة القديرة الورقة أمام رئيسها. همهم وهو يقرأ ثم قال: هذا مقنع كما أظن.

- أظنه كذلك يا سيد مورغانثال.

- هل شوارتز هنا؟

- إنه ينتظر في المكتب الخارجي.

- أرسليه لي على الفور.

كان أمام الآنسة شيل ستة أجراس، فضغطت على أحدها ثم سألت: هل ستحتاجني يا سيد مورغانثال؟

- لا، لا أظن ذلك يا آنسة شيل.

انسلَّت آنا شيل من الغرفة بهدوء. كانت شقراء ذات شعر بلاتيني، ولكنها لم تكن شقراء ساحرة الجمال. كان شعرها الكتاني الباهت مُسرّحاً مباشرة من جبينها إلى الخلف ليجتمع في لفافة مرتبة عند عنقها، وكانت عيناها الزرقاوان الفاتحتان الذكيتان تنظران إلى العالم من خلف نظارة سميكة، أما وجهها فكان ذا قسمات دقيقة متناسقة، ولكنه يفتقر لأي تعبير.

وهي لم تعتمد في شق طريقها في هذا العالم على جمالها، بل على كفاءتها المجردة، فبوسعها أن تحفظ غيباً أي شيء مهما كان معقداً وأن تستذكر الأسماء والتواريخ دون العودة إلى دفتر ملاحظات، وكان بوسعها تنظيم فريق الموظفين في مكتب كبير بطريقة تجعله يعمل كآلة أُحسِن تزييتها، وهي رمز للتكتم والمحافظة على الأسرار، وما كانت طاقتُها المنظمة المنضبطة لتفتر أبداً.

وكان أوتو مورغانثال، رئيس شركة مورغانثال وبراون وشيبرك (وهي شركة صرافة عالمية) يدرك تماماً أن ما يدين به لآنا شيل كان أكبر مما يستطيع المال تسديده، فقد وثق بها كل الثقة، وكانت ذاكرتها وخبرتها وأحكامها وعقلها البارد المتزن، كل ذلك كان لا يُقدَّر بثمن. وقد دفع لها راتباً ضخماً، وكان من شأنه أن يزيده ضخامة لو طلبت الزيادة.

ولم تقتصر معرفتها على عمله، بل تعدته إلى تفصيلات حياته الخاصة. وعندما استشارها في قضية زوجته الثانية نصحته بالطلاق واقترحت عليه المبلغ الدقيق للنفقة التي يدفعها لزوجته. لم تُظهر شفقة أو فضولاً، فما كان ليصفها بأنها من ذلك النوع. لم يظن أن لها أي مشاعر ولم يخطر له أبداً أن يتساءل عما تفكر به، بل إنه كان سيُدهَش لو قيل له إن لها أي أفكار أخرى غير تلك المتعلقة بالشركة وبمشكلات أوتو مورغانثال.

لذلك كله فقد دُهش تماماً عندما سمعها تقول وهي تتهيأ لمغادرة مكتبه: أرغب بإجازة لمدة ثلاثة أسابيع إن كان ذلك ممكناً يا سيد مورغانثال، بدءاً من الثلاثاء المقبل.

قال وهو يحدق إليها: سيكون هذا مربكاً... مربكاً جداً.

- لا أظن أن الأمر سيكون صعباً جداً يا سيد مورغانثال، فالآنسة وايغيت قادرة تماماً على التعامل مع الأمور. سأترك لها دفتر ملاحظاتي مع تعليمات كاملة، وبوسع السيد كورنوول أن يُعنى بعملية اندماج شركة آرشر.

سأل وهو ما زال متململاً: أرجو أن لا يكون ذلك لمرض أو عارض ما؟

إنه لا يستطيع تخيل الآنسة شيل مريضة، حتى الجراثيم تحترم آنا شيل وتبتعد عن طريقها.

- آه، لا يا سيد مورغانثال. أريد الذهاب إلى لندن لمقابلة أختي هناك.

- أختك؟

لم يعرف أن لها أختاً؛ لم يكن قد تخيل أن للآنسة شيل أية عائلة أو أقرباء، فهي لم تذكر شيئاً عن ذلك. وها هي الآن تشير إلى أخت لها في لندن! لقد كانت معه في لندن في الخريف الماضي، ولكنها لم تُشِرْ أبداً وقتَها إلى أن لها أختاً.

قال بشيء من المشاعر المجروحة: لم أعرف أبداً أن لك أختاً في إنكلترا؟

ابتسمت الآنسة شيل ابتسامة باهتة جداً وقالت: آه، بلى يا سيد مورغانثال، وهي متزوجة برجل إنكليزي ذي صلة بالمتحف البريطاني. سوف تخضع لعملية جراحية شديدة الخطورة، وتريدني أن أكون معها، وأنا أرغب بالذهاب.

أدرك أوتو مورغانثال أن خلاصة القول أنها حزمت أمرها على الذهاب، فقال متذمراً: حسناً، حسناً، ولكن عودي في أقرب وقت ممكن. أنا لم أرَ السوق متذبذباً أبداً بهذا الشكل من قبل... هذه الشيوعية القذرة! يمكن أن تندلع الحرب في أي لحظة، وأكاد أحسّ أحياناً بأنها الحل الوحيد. البلد كله مشغول بها... مشغول بها تماماً، والرئيس مصمم الآن على الذهاب إلى ذلك المؤتمر التعس في بغداد. إنه شَرَك خادع برأيي، فهم يسعون جاهدين للنيل منه. بغداد... من بين كل الأماكن الغريبة المستهجَنة!

قالت الآنسة شيل على سبيل التهدئة: آه، أنا واثقة أنه سيحظى بحماية ممتازة.

قال السيد مورغانثال: ألم يقتلوا شاه إيران في العام الماضي؟ كما قتلوا برنادوت في فلسطين. إنه جنون... هذه هي حقيقة الأمر، جنون!

ثم أضاف بحزن: ولكن لا غرابة، فالعالم كله مجنون!

* * *

الفصل الثاني

جلست فِكتوريا جونز معكّرة المزاج على مقعد في حدائق فيتزجيمس. كانت غارقة تماماً في التأمل... بل يكاد المرء يقول إنها غارقة في المحاكمات الأخلاقية المتعلقة بالمساوئ الكامنة في استخدام المرء لمواهبه الخاصة في الوقت غير المناسب.

كانت فِكتوريا مثل الكثيرين منا، فتاةً ذات محاسن ومساوئ. فأما في جانب المحاسن فقد كانت وَدودة كريمة شجاعة. وربما أمكن اعتبار ميلها الطبيعي للمغامرة ميزة يمكن تصنيفها في أيٍّ من جانبَي المحاسن أو المساوئ في هذا الزمن الذي يضع اعتباراً عالياً للأمن. أما عيبها الأساسي فكان ميلها للكذب في اللحظات المناسبة وغير المناسبة على حد سواء، وكان ولعها الدائم الهائل بالخيال على حساب الحقيقة ولعاً لا يمكنها مقاومته.

كانت تكذب بطلاقة وبسهولة وبحماسة، فإذا تأخرت عن موعد (وهو ما كان يحدث غالباً) فلن تكتفي بأن تتمتم بعذر عن توقف ساعتها (الذي كان أمراً متكرراً بالفعل) أو بعذر عن حافلة تأخرت على غير عادتها، بل كانت تفضّل تقديم تفسير كاذب يزعم أن ما أخرها كان فيلاً هارباً من حديقة الحيوان تمدد في الطريق

الذي تسلكه الحافلة، أو حادثة سطو خاطفة قدمت هي فيها مساعدة للشرطة... فالعالَم المقبول بالنسبة لفكتوريا سيكون ذلك العالَم الذي تكمُن فيه النمور في ساحة ستراند ويملأ فيه رجال العصابات الخطيرون شوارع المدينة!

وكانت فكتوريا فتاة نحيلة ذات جسم مقبول، ولكن كان يمكن وصفُ ملامحها بأنها قبيحة، فقد كانت ملامحَ دقيقة منسّقة ولكن فيها شيئاً من الحدّة اللاسعة، إذ كان «وجهها المطاطي» -كما وصفه أحد المعجبين بها- قادراً على لوي تلك الملامح الساكنة في تقليد ساخر لا يكاد ينجو منه أحد.

وقد كانت موهبتها الأخيرة هذه هي التي قادتها إلى موقفها الحالي الصعب، فقد كانت فكتوريا طابعة عند السيد غرينهولتز، مدير شركة غرينهولتز وسايمُنز في شارع غريزهولم غربي لندن. وقد كانت تحاول «قتل وقت» صباحٍ ممل بالترفيه عن زميلاتها الطابعات الثلاث وصبي المكتب عن طريق تقديم عرضٍ حي تؤدي فيه فكتوريا دور زوجة السيد غرينهولتز وقد جاءت لزيارة زوجها في مكتبه.

وقد أطلقت فكتوريا العنان لنفسها بعد أن اطمأنت إلى أن السيد غرينهولتز قد خرج للقاء محاميه. صاحت بصوت عالٍ منتحب: لماذا تقول إننا لن نشتري تلك الأريكة الفخمة يا دادي؟ لقد اشترت السيدة ديفتاكِس أريكة منجّدة بالساتان الأزرق. تقول إن المال ينقصك؟ فلماذا -إذن- اصطحبتَ تلك الفتاة الشقراء إلى العشاء؟ إيه! أتظن أنني لا أعلم؟ فإذا أخذت أنت تلك الفتاة، فإنني -بالمقابل- اشتريتُ أريكة منجَّدة على أجمل طراز ومعها الطنافس والوسائد الذهبية. وعندما تقول إنه لم يكن إلّا عشاء عمل فإنك تكون مغفلاً جداً...

نعم، وتأتيني وأحمر الشفاه على قميصك! ولذلك اشتريت الأريكة، وطلبت معطف فراء جميلاً جداً يشبه فروُه فروَ المنك، ولكنه ليس فرو المنك فعلاً، وقد اشتريته بثمن رخيص، وكان صفقة جيدة...

كان مستمعوها -في البداية- مسحورين بتقليدها الساخر، ولكنهم انخرطوا فجأة بالعمل، مما جعل فكتوريا تتوقف وتلتفت إلى حيث كان السيد غرينهولتز واقفاً عند مدخل الباب يراقبها. وعندما لم تجد شيئاً مناسباً تقوله اكتفت بكلمة: آه!

دمدم السيد غرينهولتز، ثم نزع معطفه بقوة وتقدم إلى مكتبه الداخلي حيث صفق الباب بقوة خلفه، وعلى الفور -تقريباً- رنّ جرسه رنّتَين قصيرتين ورنّة طويلة، وكان ذلك استدعاء لفكتوريا.

قالت إحدى صاحباتها بشكل لا داعي له: "هذا الجرس لك يا فكتوريا"... ثم التمعت عيناها بالفرح الذي يحصل عليه المرء من مصائب الآخرين. وقد ساهمت بقية الطابعات في هذا الشعور بأن علَّقن قائلات: "لقد وقعتِ يا فكتوريا" و"لقد نلتِ حمَّاماً ساخناً!"... أما صبيّ المكتب، وهو طفل كريه، فقد اكتفى بأن مرر سبابته أمام حنجرته موحياً بالذبح ومُطلقاً صوتاً منذراً بشر مستطير.

حملت فكتوريا دفتر ملاحظاتها وقلم الرصاص ومضت إلى مكتب السيد غرينهولتز بكل ما يمكنها استجماعه من ثقة، وعندما دخلت عليه تمتمت وهي تركز عليه نظرةً صافية شفافة: لقد طلبتَني يا سيدي؟

كان السيد غرينهولتز يخشخش بثلاث ورقات من فئة الجنيه ويبحث في جيوبه عن قطع نقود معدنية أخرى، وقال لها: ها أنت

ذي إذن. لقد تحملتُ منك ما يكفي أيتها الشابة. هل ترين أي سبب خاص يمنعني من أن أدفع لك أجر أسبوع بدل الإشعار وأطردك في هذه اللحظة؟

كانت فكتوريا (اليتيمة الأبوين) قد فتحت فمها لتوِّها لتوضح له أن محنة أمها التي تعاني -في هذه اللحظة بالذات- من عملية جراحية كبرى قد أثّرت على معنوياتها إلى الحد الذي جعلها خفيفة العقل تماماً وكيف أن راتبها هو كل ما تعتمد عليه الأم المذكورة، ولكنها عادت وأغلقت فمها وغيّرَت رأيها بعد أن نظرت نظرة سريعة إلى وجه السيد غرينهولتز السقيم.

وبدلاً من ذلك قالت بكل انطلاق وعذوبة: إنني أتفق معك كل الاتفاق. أعتقد أنك محق تماماً، إن كنتَ تفهم ما أعنيه.

بدا وكأن السيد غرينهولتز قد فوجئ قليلاً، فهو لم يكن معتاداً على تعامل الناس مع حالات الطرد بمثل هذه الروح الراضية المهنِّئة، ولكي يخفي مسحة عدم الارتياح بدأ بترتيب مجموعة من النقود المعدنية على المكتب أمامه. ثم أخذ يبحث مجدداً في جيوبه وتمتم بنكد: ينقص المبلغ تسعة بنسات.

قالت فكتوريا بلطف: لا تهتم لذلك. اذهب بها إلى السينما أو اشترِ لنفسك بها بعض الحلويات.

- كما لا يبدو أن لديّ أي طوابع أيضاً.

- لا يهم، فأنا لا أكتب رسائل أبداً.

قال السيد غرينهولتز، ولكن دون كثير من القناعة: يمكنني

إرسال باقي المبلغ إليك لاحقاً.

- لا تزعج نفسك. ولكن ماذا عن تزويدي بكتاب تزكية؟

عاد الغضب إلى السيد غرينهولتز وسأل بحنق: ولماذا يتعين عليَّ إعطاؤك كتاب تزكية؟

- هذا هو الإجراء المعتاد.

سحب السيد غرينهولتز ورقة وكتب عليها بضعة أسطر على عجل، ثم مدَّها إليها وقال: هل يكفيك هذا؟

عملت الآنسة جونز معي لمدة شهرين
كطابعة اختزال، واختزالها مليء بالأخطاء،
وهي لا تُحسن التهجئة. وقد أنهيت خدماتها
بسبب تبديدها للوقت أثناء ساعات العمل.

كشرت فكتوريا وقالت: لا تكاد هذه تكون تزكية!

- لم يكن المقصود أن تكون كذلك.

- على الأقل يمكنك القول أنني نزيهة ومتّزنة ومحترمة، فأنا كذلك بالمناسبة، وربما أمكنك أن تضيف أنني كَتومة.

صاح السيد غرينهولتز: كتومة؟!

قابلت فكتوريا نظرته بنظرة بريئة وقالت بهدوء: كتومة.

تذكر السيد غرينهولتز بعض الرسائل التي أملاها على فكتوريا لطباعتها، فقرر أن الرأيَ قبل شجاعة الشجعان. سحب الورقة بنزق

ومزقها وكتب رسالة جديدة:

لقد عملت الآنسة جونز معي لمدة شهرين
كطابعة اختزال، وهي تغادر العمل نتيجة
الفائض في مِلاك المكتب.

- كيف تجدين هذه؟

- يمكن أن تكون أفضل، ولكنها تفي بالغرض.

* * *

كان ذلك -إذن- هو موضوع تأملات فكتوريا حين جلست وفي حقيبتها راتب أسبوع (إلّا تسعة بنسات) على مقعدٍ في حديقة فيتزجيمس التي كانت قطعة مستطيلة من الخُضرة تحيط بها الأشجار ويطل عليها مخزن عالي البناء.

كان من عادة فكتوريا في كل يوم لا مطرَ فيه أن تشتري شطيرة جبن بالخس والبندورة (الطماطم) من أحد الأكشاك وأن تأكل ذلك الغداء البسيط في هذا الجو شبه الريفي. واليوم، وهي تقضم وجبتها متأملة، كانت تعزّي نفسها -مرة أخرى- بأن لديها وقتاً ومكاناً لكل أمر... وأن المكتب لم يكن المكان المناسب لتقليد زوجة رب العمل.

ينبغي عليها في المستقبل أن تكبح تلك الحيوية الطبيعية التي قادتها إلى محاولة إضفاء الحياة والبهجة على وظيفة مملة، وفي هذه الأثناء ستكون متحررة من تلك المؤسسة التي كانت تعمل فيها، وقد ملأها توقُّع الحصول على عمل في مكان آخر بإحساس لذيذ من الترقب.

لقد كانت فكتوريا تفرح دائماً عندما تكون على وشك تولي وظيفة جديدة، وكانت تشعر دوماً بأن المرء لا يدري أبداً ما الذي يمكن أن يجدّ من أمور.

وزّعت آخر ما بقي معها من فُتات الخبز على ثلاثة من عصافير الدوري اليقظة التي راحت تتصارع فوراً بحميّة على ذلك الفتات، وما إن أكملت توزيع الفتات حتى انتبهت لوجود شاب يجلس على الطرف الآخر من المقعد.

كانت فكتوريا قد انتبهت لوجوده بشكل مبهَم منذ بعض الوقت، ولكنها لم تلاحظه عن كثب حتى تلك اللحظة، فقد كان عقلها ممتلئاً بالحلول المستقبلية الجيدة. وقد أعجبها ما لاحظته الآن من الشاب (ولكن بزاوية عينها فقط)، فقد كان وسيماً أشقر ذا ذقن يوحي بالحزم وعينين شديدتي الزرقة خُيِّل إليها أنهما كانتا تراقبانها منذ بعض الوقت بإعجاب خفي.

لم يكن لدى فكتوريا كوابح تمنعها من مصادقة شباب غرباء في أماكن عامة، فقد كانت تعتبر نفسها حَكَماً ممتازاً على الشخصيات وقادرة تماماً على كبح أي تعبير غزلي وقح من جانب الرجال.

ابتسمت له بشكل مكشوف، فاستجاب الشاب (مثل دمية متحركة جذب المرء خيوطها) قائلاً: مرحباً، هذا مكان رائع. هل تأتين دوماً إلى هنا؟

- كل يوم تقريباً.

- لم يسعفني حظي في المجيء إلى هنا أبداً من قبل. أكان

ذلك الذي أكلتِه هو غداءك؟

- نعم.

- لا أحسبك أكلتِ ما يُشبعك. كنت سأتضور جوعاً لو لم آكل شيئاً سوى ما أكلتِ. ما رأيك بالذهاب لتناول السجق في مطعمٍ في شارع توتنهام كورت؟

- لا، شكراً. لقد أكلت، ولا أستطيع تناول المزيد الآن.

توقعتْ منه أن يقول: "هل نذهب في يوم آخر؟"، ولكنه لم يقل ذلك، بل اكتفى بأن تنهد ثم قال: اسمي إدوارد، ما هو اسمك؟

- فكتوريا.

- ولماذا أسماك أهلك على اسم محطة القطارات؟

- ليست فكتوريا محطة قطارات فحسب، إذ توجد الملكة فكتوريا أيضاً.

- مممم... نعم. ما اسم عائلتك؟

- جونز.

قال إدوارد محاولاً تجربة الاسم على لسانه: فكتوريا جونز... الاسمان غير متناسبين.

أجابت فكتوريا بحماسة: أنت محق تماماً. لو كان اسمي جيني لكان ذلك رائعاً... جيني جونز. ولكن اسم فكتوريا يحتاج إلى اسم آخر يوحي بالطبقات العليا. فكتوريا ساكفيل وست مثلاً... هذا

ما يحتاجه المرء؛ شيءٌ يملأ نطقُه الفم.

قال إدوارد باهتمام يوحي بالتعاطف: يمكنك إلحاق اسم آخر مع اسم جونز.

- مثل بدفورد جونز.

- أو كريسبروك جونز.

- أو سينت كلير جونز.

- أو لونسديل جونز.

لم يقطع هذه اللعبة المسلية إلّا نظر إدوارد إلى ساعته، حيث هتف فجأة برعب: ينبغي أن أهرع عائداً إلى مديري النكد. همم... وماذا عنك أنت؟

- لقد تركت عملي؛ طُردتُ هذا الصباح.

قال إدوارد باهتمام حقيقي: آه، إنني آسف لذلك.

- لا تبدد عواطفك، فأنا غير آسفة أبداً على ذلك. وهذا لسبب واحد؛ وهو أنني سأحصل على عمل آخر بسهولة، ثم إن الأمر كان ممتعاً حقاً.

ثم زادت من تأخير إدوارد بأن سردت له وصفاً حياً للمشهد الصباحي الذي جرى معها، معيدة تمثيل شخصية السيدة غرينهولتز وإدوارد يصغي وهو في غاية الاستمتاع. وأخيراً قال: أنت رائعة حقاً يا فكتوريا. ينبغي

أن تكوني ممثلة.

تقبلت فكتوريا هذا الإطراء بابتسامة سعيدة وقالت إن من الأفضل لإدوارد أن يركض إلى عمله إن كان لا يرغب بأن يُطرَد هو الآخر.

قال: "نعم... ولن أكون قادراً على الحصول على وظيفة جديدة بنفس السهولة التي ذكرتِها". ثم قال بنبرة لا تخلو من الحسد: لا بد أن كونَ المرء طابعَ اختزال جيداً أمرٌ رائع.

اعترفت فكتوريا بصراحة قائلة: في الحقيقة أنا لست طابعة اختزال جيدة، ولكن من حسن الحظ أن أسوأ طابعات الاختزال يمكنهن الحصول على عمل في هذه الأيام. إنهن يحصلن -على الأقل- على عمل في التعليم أو في المؤسسات الخيرية، فهذان المجالان لا يسعهما دفع رواتب عالية، لذلك فإنهما يوظفان موظفات من أمثالي. أنا أفضّل العمل مع المؤسسات ذات الثقافة العالية، فتلك الأسماء والعبارات العلمية فظيعةٌ إلى الدرجة التي لا يشعر المرء معها بالخجل حقاً من عدم معرفة تهجئتها... لأن أحداً لا يعرف تهجئتها أصلاً! ما هو عملك؟ أحسب أنك خارج من الخدمة العسكرية. هل كنت في القوة الجوية الملكية؟

- تخمين جيد.

- أكنت طياراً مقاتلاً؟

- صحيح مرة أخرى. لقد كانوا منصفين جداً معنا هناك، ولكن المشكلة أننا لسنا على تلك الدرجة من الذكاء... أعني أن المرء لم

يكن بحاجة لأن يكون ذكياً في القوة الجوية. لقد وضعوني في مكتب فيه كثير من الملفات والأرقام ويتطلب الكثير من التفكير، فما كان مني إلّا أن انهرت. وقد بدا وكأن كل شيء كان دون أي هدف على أية حال، ولكن هذا هو الموجود. إن مما يثبط المعنويات قليلاً أن يدرك المرء أنه لا يُحسن شيئاً أبداً.

أومأت فكتوريا برأسها متعاطفة، وتابع إدوارد بمرارة: لم نعد على علاقة بالواقع ولا اطلاع لنا على ما يَجِدّ من أمور أبداً. كان الأمر على ما يرام أثناء الحرب، حيث كان بوسع المرء أن يقوم بواجبه رغم كل الصعوبات. لقد حصلت على وسام الطيران مثلاً... أما الآن، فربما كان بوسعي اعتبار نفسي شخصاً لا يقدم ولا يؤخر.

- ولكن لا بد أن يوجد...

ثم توقفت وسط جملتها وقد شعرت بأنها غير قادرة على أن تصوغ -بكلمات واضحة- قناعتَها بأن تلك الخصائص التي جلبت لأصحابها أوسمة الشجاعة والتميز لا بد أن يكون لها موقعها في مكان ما من عالم سنة ١٩٥٠.

قال إدوارد: لقد ثبَّط همتي بعضَ الشيء أن لا أكون نافعاً مفيداً في أي مجال. الأفضل أن أسرع بالذهاب. أقول... هل تمانعين... أعني هل سيكون من الوقاحة الشديدة أن... أن أطلب منك...

وفيما فتحت فكتوريا عينين دَهِشتين وهي تدمدم وتحمرُّ خجلاً أخرج إدوارد آلة تصوير صغيرة وقال: أحب أن ألتقط لك صورة، فأنا مسافر غداً إلى بغداد.

هتفت فكتوريا بخيبة أمل محببة: إلى بغداد؟!

- نعم. وأنا أتمنى لو لم أكن ذاهباً... الآن. مع أنني كنت متحمساً تماماً لهذه السفرة صباح اليوم، وهذا هو السبب في قبولي بهذه الوظيفة في الواقع... لكي أخرج من هذا البلد.

- ما نوع هذه الوظيفة؟

- وظيفة فظيعة تماماً. ثقافة وشِعر، وما إلى ذلك. رئيسي اسمه الدكتور راثبون. تمتدّ قائمة من الألقاب خلف اسمه، وهو ينظر إليك بعاطفة مفرطة من خلال نظارته. إنه حريص جداً على السموّ ورفعة الأخلاق وعلى نشر ذلك قدرَ استطاعته، لذلك فإنه ينشئ مكتبات في أماكن بعيدة... وهو يريد إنشاء مكتبة في بغداد الآن. لقد أشرف على ترجمة أعمال شكسبير وملتون إلى العربية والكردية والفارسية والأرمنية، وهو ما أراه أمراً سخيفاً لأن المجلس الثقافي البريطاني يقوم بنفس المهام تقريباً في كل تلك المناطق. على أي حال هذا ما يحصل، وهذا يوفر لي وظيفة، لذلك عليّ أن لا أتذمر.

- ما هي طبيعة العمل الفعلية؟

- إنه لا يعدو أن يكون بمثابة خادم مطواع للرجل في نهاية المطاف. أشتري البطاقات، وأجري الحجوزات، وأملأ استمارات جوازات السفر، وأتأكد من حزم كل تلك الدواوين الشعرية الفظيعة، وأركض من هنا إلى هناك... وبعدها، عندما نصل إلى هناك يُفترض بي أن أُقيم صداقات، شيء أشبه بتشجيع الحركات الشبابية المجيدة والتقاء الأمم كلها في توجه واحد من أجل الرفعة والسمو.

كانت نبرة إدوارد تزداد كآبة باضطراد، ثم قال: إنه عمل كريه جداً بصراحة، أليس كذلك؟

لم تكن فكتوريا قادرة على تقديم الكثير من العزاء. ومضى إدوارد قائلاً: لذلك إن لم يكن لديك مانع من أن أصورك؟ صورة جانبية وصورة وأنت تنظرين مباشرة إليّ. نعم، هذا رائع.

طقطقت آلة التصوير مرتين، وأظهرت فكتوريا ذلك الرضا الذي تُظهره شابة أدركت أنها نالت إعجاب رجل.

قال إدوارد: ولكن من المؤسف حقاً أن أضطر إلى المغادرة بعدما قابلتك. أنا نصف عازم على التخلي عن هذه الرحلة، ولكن أحسب من غير الممكن أن أصنع ذلك في اللحظة الأخيرة... ليس بعد كل تلك الاستمارات الكريهة والتأشيرات وغير ذلك. لن يكون هذا تصرفاً لائقاً، أليس كذلك؟

قالت فكتوريا معزية: قد لا يكون الأمر على تلك الدرجة التي تظنها من السوء.

أجابها إدوارد بارتياب: نـ.. نعم. الأمر الغريب هو أنني أحسّ بأن في هذه المسألة شيئاً مريباً في مكان ما.

- شيئاً مريباً؟

- نعم؛ شيء زائف ما. لا تسأليني لماذا، فليس لديّ أي سبب. إنه من تلك المشاعر التي تنتاب المرء أحياناً. انتابني مرة نفس الشعور إزاء زيت المحرك الأيسر في طائرتي فبدأت أبحث وأفتش، وبالفعل كانت هناك حلقة عالقة في المغيِّر الاحتياطي لسرعة المضخة.

كانت اللغة الفنية التي تحدث بها غير مفهومة أبداً بالنسبة لفكتوريا، ولكنها فهمت الفكرة العامة. قالت: أتظنه منتحِلاً زائفاً... أقصد السيد راثبون؟

- لا أرى كيف يمكن أن يكون كذلك. أعني أنه محترم جداً ومثقف وينتمي إلى تلك الجمعيات الفكرية... وتربطه علاقة وثيقة بكبار رجال العلم وعمداء الكليات. لا، إنه **مجرد شعور**. حسناً، سيكشف الزمن كل شيء، ولكن حتى ذلك الحين... لطالما أتمنى لو كنتِ قادمة معنا أيضاً.

- وكذلك أنا.

- ما الذي ستفعلينه؟

أجابت فكتوريا بتجهم: سأذهب إلى وكالة غيلدريك في شارع غاور وأبحث عن وظيفة أخرى.

- وداعاً يا فكتوريا.

- وداعاً يا إدوارد، أتمنى لك حظاً موفقاً.

- لا أحسب أنك ستفكرين بي أبداً مرة أخرى.

- بلى، سأفكر.

- إنك تختلفين كل الاختلاف عن أي فتاة عرفتها من قبل. كنت أتمنى فقط...

دقت ساعة الكنيسة القريبة فهتف إدوارد: آه، يا إلهي! يجب أن أطير مثل الريح.

ثم هرع ليختفي في قلب لندن. أما فكتوريا (التي تخلفت وراءه على المقعد غارقة في تأملاتها) فقد شعرت أنها وإدوارد كانا في موقف يشبه موقف روميو وجولييت إلى حدٍّ ما: لقاء فانجذاب فوري... فحرمان وإحباط! قلبان محبان يُفرَّق بينهما.

نهضت فكتوريا أخيراً وهي تنفض فتات الخبز عن حِجْرها، ثم مشت سريعاً خارجةً من حديقة فيتزجيمس باتجاه شارع غاور.

كانت قد توصلت إلى قرارين: أولهما أنها (مثلما وقع لجولييت) قد أحبت هذا الشاب وتريد الفوز به. أما القرار الثاني الذي قررته فكتوريا فكان: بما أن إدوارد سيكون قريباً في بغداد فليس أمامها إلّا أن تذهب إلى بغداد أيضاً. وكان الأمر الذي يشغل بالها الآن هو كيفية تحقيق ذلك.

ولم يراودها شك في إمكانية تحقيق ذلك بشكل أو بآخر، فقد كانت شابة متفائلة قوية الشخصية.

قالت لنفسها: **لا بد لي** من السفر إلى بغداد بطريقة ما!

* * *

نشكرك على الاهتمام بمنشوراتنا، ونأمُل أن تكون الصفحات التي قرأتها قد وفّرت لك قراءة ممتعة وعرَّفَتك بالرّواية.

يمكنك شراء نسخة ورقية من هذه الرواية (وسواها من الروايات) من موقعنا مباشرة، ونرجو عدم التردد بالاتصال بنا لو احتجت لأي مساعدة.

الأجيال
www.al-ajyal.com